الدلالة الصرفيّة الجوهريّة لصيغة افتعلَ

خلف عايد إبراهيم الجرادات

أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة مؤتة، الأردن.

الملخّص

يقوم هذا البحث على توحيد الدلالة الصرفيّة للصيغة الفعليّة المزيدة (افتعل)، ويخلص إلى أنّ لها دلالة واحدة لاتعدوها، وتنتظم كلّ أمثلتها، وهي القصد إلى الفعل والعَمد إليه من ذات الفاعل. وكلّ المعاني الّتي ذكرها الصرفيّون قدامى ومحدثين إنّما تعود إلى هذا المعنى، أو تنطلق منه، فهو معناها الوحيد، وقد برهن البحث على ذلك، وهو ما يجلو دلالة هذه الصيغة في كلّ الجذور الواردة في اللغة، ويخلّصها من اضطراب المعاني وتداخلها بلا طائل.

مقدمة

تناول هذا البحث صيغة افتعل الفعليّة المزيدة، ذاهباً إلى أنّ لها دلالة صرفيّة واحدة فقط، هي الدلالة الجوهريّة والحقيقيّة، وهي القَصْد إلى الفعل والعَمْد إليه من ذات الفاعل، وبهذه الدلالة تمتاز عن المجرّد، وعن الصيغ المزيدة الأخرى، وهذه الدلالة هي أصل معاني افتعل واستعمالاتها العديدة الّتي تطالعنا في المصنفات اللغويّة المختلفة.

والمشكلة الّتي تصدّى لها هذا البحث، هي تعديد معاني كلّ صيغة مزيدة وتفريعها، وخَلْط المعنى الصرفيّ المحض بالمعاني الاستعماليّة والمعجميّة، فاتّجه كلُّ معنى صرفيّ إلى عدد من الأمثلة حُمِلَتْ عليه، ولا يمنعها ذلك من أنْ تُحمل على معنى آخر أو أكثر من معاني الصيغة، فتداخلت الأمثلة بين المعاني في غياب حدود واضحة لكلّ معنى، واضطربت المعاني. وقد يتكرّر المعنى في غير صيغة فعليّة، فمعنى؛ الاتّخاذ مثلاً من معاني افتعل، ومن معاني استفعل؛ ومعنى المبالغة في أفعل، وفي فعّل، وفي استفعل، وفي فاعَلَ.

وقد أحصيتُ لصيغة افتعل تسعةَ عشر معنىً في التراث اللغويّ، وكَثْرَتُها تومئ بالحاجة إلى ضبطها؛ إذ اختلطت فيها الدلالة الصرفيّة بالدلالة المعجميّة، وبالمعاني الاستعماليّة المتطوّرة عن المعنى الصرفيّ الأساسيّ.

ولم يكن سعيي إلى الكشف عن معنى جوهريّ وحيد للصيغة، ردّاً على التعدّد المذكور، ولكنّها مسألة رأيتها واضحةً في كلّ صيغة؛ كما هو الحال من حيث وحدة الدلالة في أغلب الأبنية الصرفيّة.

ويتفق البحث مع أصحاب النظر النحويّ القديم والحديث المتابع له ممَّن ذَكَرَ منهم هذه الدلالة مباشرة أو كادَ يلامسها، ولكنّه يخالفهم بأنّها هي الدلالة الوحيدة والجوهريّة للصيغة، وكلّ المعاني الأخرى المذكورة للصيغة إنّما تعود لهذا المعنى أو تنطلق منه؛ فقد تتبّعْتُ هذه المعاني عند القدماء والمحدَثين، وحلّلتها ملتمساً الدلالة الصرفيّة المحضة فيها، فوجدت أنّ أغلب هذه المعاني قريبة من الدلالة الجوهريّة الوحيدة الّتي شِمْتُها في هذا البحث، أو تتّصل منها بسبب.

وما كنتُ ساعياً إلى مخالفة القدماء حبّاً بالمخالفة، ولا زارياً عليهم، ولو خالفتُهم في مسألة توحيد الدلالة، فجهودهم عظيمة تُذكَر فتُشكَر، فقد أسسّوا بنيانهم الشامخ على قواعد متينة، عليها نَبْني ومنها ننطلق، وهم فئتنا التي نتحيّز إليها إن اشتدّ أوار المسائل، وادلهمّ خطبُها.

وبدا لي أنّ لكلّ صيغة فعليّة مزيدة دلالة صرفية جوهريّة لا تعدوها، وأنّ مَن عدّد الدلالات إنّما اعتبر ما هي عليه في الاستعمال والتداول وقد ابتعدت عن دلالتها الصرفيّة الحقيقيّة قليلاً، وتوسّعتْ.

لقد استقرأتُ أبرز الجهود السابقة -قديمة وحديثة- في موضوع هذا البحث، وحلّلتُ كلّ ما وصلتُ إليه من معاني افتعل الصرفيّة، وخَلَصْتُ إلى النتيجة المذكورة. وأزعم أنّ ما ظفرت به من دلالة صرفيّة جوهريّة ووحيدة للصيغة إنّما هي دلالتها الحقيقيّة من غير ما شطط، ولا واعتساف لأمثلتها. وتطبيق هذه الدلالة على واقع اللغة يكشف بسهولة عن سرِّ اختلاف الصيغ في النصوص الفصيحة ولا سيّما القرآن الحكيم، ويقطع القول بمسائل اعتاص الفرق فيها بين هذه الصيغ في النص المحكَم.

إنّ الدلالة الصرفيّة للصيغ الفعليّة المزيدة جديرة بالدراسة الواعية العميقة لما تتضمّنه من معانٍ ودلالات توضّح مسالك الاشتقاق الدلاليّ الصرفيّ، ومظاهر التطوُّر والتغير اللغويّ الّذي ينتقل بدلالات هذه الصيغ، وهو جانب خَصْبٌ بديع في اللغة، وارف الظلال.

المبحث الأول: المعاني الصرفيّة بين الدلالة الصرفيّة الحقيقيّة والدلالة الاستعماليّة المُكتَسَبة

يدور هذا المبحث حول التفريق بين الدلالة الصرفيّة المحضة لافْتَعَلَ والدلالة الاستعماليَّة المُكتَسَبة؛ إذ تبيّن لي بعد دراسة المعاني الصرفيّة لهذه الصيغة وتحليلها أنّ كثيراً منَ السابقين لم يَفْصِلوا الدلالة الصرفيّة المحضة عن الدلالة المعجميّة في بعض طوائف الأمثلة الّتي اشتقّوا منها المعاني الصرفيّة، كما لم يَفْصِلوا أيضاً الدلالة الصرفيّة عن الدلالة الاستعماليّة الّتي تطوّرتْ إليها أمثلة افتعل، وهو ما ولّد معاني عديدة، تجمع هذه الدلالات إلى الدلالة الصرفيّة.

إنّ القدماء ومَن تابعهم من المُحدَثين عـدّدوا الـدلالات باعتبار ما هي عليه في الاستعمال والتداول، وقد مسَّ التطوّر الدلاليّ جزءاً من أمثلتها، وسلك به الاستعمال والتداول مسالك شتّى، فابتعد بها قليلاً عن الدلالة الصرفيّة الحقيقيّة ظاهراً.

وسأوضّح ما ذكرته من عوامل تعديد ببعض الأمثلة هنا، عدا عن البسط والتفصيل الّذي سيأتي في أثناء البحث.

إنّ من معاني افتعل البارزة الّتي ذكروها معنى (التصرّف والاجتهاد والطلب)[1] ومن أمثلة ذلك: اكتسب، واعتملَ. والدلالة الصرفيّة الحقيقيّة الّتي أراها لصيغة افتعل حيثما وردت هي: قَصْد الفاعل إلى الفعل من ذاته، والعَمْد إليه، وهي الدلالة الصرفيّة في اكتسب واعتمل المذكوريْن، ويتّضح الأمر عند مقارنة المثالين المزيدين بالمجرّد منهما: كَسَب، وعَمِل، فكَسَبَ: هو فِعْلُ الكَسْبِ مطلقاً دونما أيّ إضافة، أمّا اكتسب ففيها معنى كَسَبَ، زيادة على أنّ الفاعل عَمد إلى فعل الكسب من ذاته وقَصَد إليه، وهذه هي الدلالة الصرفيّة المحضة لاكتسبَ، وكذا اعتملَ، ولما توّلى الاستعمال هذه الدلالة اندمجتْ بالمعنى المعجميّ للكلمة؛ لأنّ مَن يعمَد إلى فعل الكسب من ذاته فإنه سيتصرّف ويجتهد ويحتال ويطلب وسائلَ الكسبِ. وهذه هي الزيادة الاستعماليّة على الدلالة الصرفيّة، وهي ليست بعيدة عنها بل ملابسة لها، ومن هنا عدّوا التصرف والاجتهاد والطلب معنى صرفيّاً للصيغة في هذا المثال وما شابهه.

وثمّةَ امتداد استعماليّ آخر للفعل اكتسب، سيأتي تفصيله في موضعه من البحث لكنّي أشير هنا إلى أنّ الفعل (اكتسب) اختصّ أحياناً باكتساب الشرّ مقابل كَسَبَ(المجرّد) في الخير، وهي دلالة نابعة من المعنى الصرفيّ الحقيقي الّذي ذكرته، وذلك أنّ الفاعل في اكتسب قَصَد إلى الفعل من ذاته وعمد إليه، وكذا هو فعل الشر أو الإثم في الأغلب، إذ يقع بعزم وقَصْدٍ وإصرار من الفاعل، فاتّجه (اكتسب) إلى هذا الجانب، ودرج في الاستعمال أنّ اكتسب أحياناً قد يُراد به ما يقابل الخير في كَسَبَ. وقد ذهب بعض الصرفيّين إلى أنّ المعنى الصرفيّ لصيغة افتعل في مثل هذا إنّما هو التقابل[2]، ولا يخفى أنّ التقابل مسألة استعماليّة تدرّجتْ إليها دلالة اكتسب بالاعتماد على الدلالة الصرفيّة الحقيقيّة الّتي وضحتُها.

ولا يخفى مراعاة المعنى المعجميّ زيادةً على المعنى العام في الاستعمال حينما عدّ سيبويه أنّ دلالة (انتزع، واقتلع، واجتذب) هي الخَطْفة، فالخطفة الّتي فيها معنى القوّة والسرعة ذات علاقة مباشرة بالمعنى المعجميّ للأفعال المذكورة، زيادة على الدلالة الصرفيّة الحقيقيّة في الصيغة، وهي قَصْد الفاعل إلى الفعل والعَمْد إليه من ذاته، فيصبح مجموع دلالة افْتَعَلَ في الأمثلة هو الخطفة الّتي ذكرها سيبويه.

وحينما ذهب ابن مالك إلى أنّ الدلالة الصرفيّة لصيغة افتعل في (اصطفى، انتخب، واجتبى) هي التخيُّر[3]، فلا يخفى المعنى المعجميّ الجامع بين هذه الأمثلة، وهو تخيُّر الصفوة واختيار الأفضل، فالدلالة معجميّة من هذه الجهة، أمّا الدلالة الصرفيّة الحقيقيّة في الأمثلة فهي القَصْد إلى هذا الفعل والعَمْد إليه من ذات الفاعل، وهو الجانب الذاتي في معنى التخيُّر الّذي ذكره؛ أي أنّ اصطفى: عمدَ إلى الصفوة من ذاته، وكذا انتخب، واجتبى. وابن مالك أراد حاصل الدلالة في الاستعمال، وهي تجمع المعجمي مع الصرفيّ.

وحينما جاءَ الفعل (كالَ) – مثلاً– على افتعل(اكتال) انتقل معناه في الاستعمال إلى المقابل للمجرّد كالَ، فالفعل المجرّد كالَ يتعدّى لمفعولَيْن، وإذا كان كذلك فإن فاعله يكيل لمفعوله الأوّل، كقولنا: كالوهم حَبّاً، أمّا اكتال فقد اتّجه بدلالته الصرفيّة الجوهريّة إلى: عمدَ إلى فعل الكيل من ذاته وقَصَد إليه، وهو جانب ذاتي في الفعل، التقطه الاستعمال وجعله في جانب مَنْ أراد الكيلَ لنفسه وطَلَبَهُ، ورستْ هذه الدلالة في الاستعمال لتقابل دلالة المجرّد الّتي استقلت في أغلب الاستعمال بمن كال غيرَه. يؤيّد ذلك الاستعمال القرآني الكريم ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [سورة المطففين: 2، 3]. وحينما وقف بعض القدماء على هذه الدلالة نظر إليها من حيث انتهت إليه في الاستعمال، فذهب إلى أنّ دلالة افتعل هنا هي الأخذ[4]، ورآها بعض المحدّثين من جهة ثانية على أنها تقابل[5].

ومسألة التطور والاستعمال في نقل الدلالات الصرفيّة مجالٌ ثرّ بديع من مجالات الدلالة، ولا يمكن إغفاله في الكشف عن أصول كثير من دلالات الألفاظ، وانظر –

مثلاً- كيف نقل الاستعمال والاشتقاق الدلاليّ الفعلَ (نظر) من معناه الحِسّيّ إلى انتظر بمعناه المتداول المعروف. حيث توسّع الفعل المجرّد نظَرَ إلى الترقُّب والانتظار من أنّ مَن تحرّى شيئاً نظر إلى حيث يتوقّع قدومه، وردّد النظر إلى مَورِد حاجته في زمنٍ قد يطول، ومن هنا توسّع الفعل إلى معنى الإمهال، وجاء منه أنظرني، أي أمهلني، ثم أعملتْ الصيغُ المزيدة دلالاتِها فيه، نحو: أنْظرَ، وانتظر، وتنظّر[6]، إلّا أنّ صيغة افتعل (انتظر) سادت على سائرها بعد حينٍ من الاستعمال، وأرجّح أنّ مرَدَّ ذلك إلى دلالتها الصرفيّة، وهي ذاتيّة الفعل والقصد إليه، فكانت أنسب الصيغ مقاربةً لواقع الاستعمال، فشاعتْ. وقد تتشعّب الاجتهادات، وتختلف مُسمّيات دلالتها الصرفيّة على ما هي عليه الآن، غير أنّ مصدرها الدلاليّ الصرفيّ واحد وهو ما ذكرتُه من دلالة صرفيّة جوهريّة في الصيغة.

المبحث الثاني: معاني افتعل الصرفيّة في الدراسات السابقة في ضوء الدلالة الصرفيّة الجوهريّة الوحيدة

1 - المطاوعة

ذكر سيبويه أنّ (افتعلَ) تأتي مطاوع (فعَلَ)، وقد تناوِب (انفعلَ) في بعض الأفعال، كقوله: "وشوَيْته فانشوى، وبعضهم يقول فاشتوى"[7].

وقد ذكر سيبويه هذا في الباب الّذي عقده للمطاوعة، وذكر فيه بعض صيغ المطاوعة، مثل: انفعل وافتعل.

وأرى أنّ سيبويه لا يعدّ المطاوعة معنىً صرفيّاً وإن حملها بعض النحاة فيما بعد على أنّها كذلك[8]، ولو سلّمنا بأنّ المطاوعة معنى صرفيٌّ، فما ثمرة هذا المعنى؟ وما فائدته الدلاليّة في الصيغة نفسها؟ وهو ما حدا ببعض المحدثين إلى إنكار فكرة المطاوعة من أساسها[9].

ومن الجدير بالذكر أنّ أغلب صيغ المطاوعة مشتمل على التاء من حروف الزيادة، مثل: افتعلَ، وتفاعل، وتفعّل، ويُلاحَظ أنّ هذه الصيغ تجتمع من حيث الدلالة الصرفيّة على أنّها أفعال ذاتيّة، ولعلّ في هذا تأييداً لدلالة افتعل الصرفيّة الّتي أسعى إليها في هذا البحث.

واكتفى أغلب اللاحقين بذكر هذا المعنى وتكراره مع الأمثلة الّتي من الممكن أنْ تحمَل عليه، وسمّاه بعض المتأخرين قبولاً، ومثّل عليه بالفعل المزيد(اتّعظَ)[10]، وهي مجرّد تسمية أخرى لذات المفهوم.

وسمّاه المستشرقون الانعكاسيّة (Reflexive)، وعدّوه دلالة رئيسيّة لافتعل، غير أنّ المقارنة بالساميات قادتهم إلى استعمال هذه الصيغة للمبني للمجهول في بعض الساميّات[11]، وهو أمر يدور في فلك ذاتيّة الصيغة النابعة من معناها الصرفيّ الّذي أراه، وهو قَصْد الفاعل إلى الفعل من ذاته. وهو يوافق ما ذهب إليه مصطفى جواد من أنّ الأفعال المزعومة للمطاوعة هي في الحقيقة لرغبة الفاعل في الفعل أو ميله الطبيعيّ من غير تأثير من الخارج[12]، وهو رأي حسن يُوَجّه معنى المطاوعة إلى المعنى الّذي نبغي. وذهب إلى أنّ التاء في افتعل، واستفعل وتفاعل إنّما غرضها الإعراب عن رغبة الفاعل في الفعل أو شبهها[13]، وهو رأي يوافق المعنى الّذي أراه في افتعل. غير أنّ مصطفى جواد لا يرى هذا هو معنى افتعل الوحيد، بل ذهَبَ مع مَن يرى أنّها تأتي للمشاركة مثل تفاعل، وعدّ معنى الاتّخاذ فيها قياسيّاً [14].

وقد تتبّع جرجي زيدان أصل التاء المزيدة في افتعل وتفاعل وتفعّل مقارنةً بالساميّات، فاستنتج أنّ أصلها بمعنى ذات، وقال: "فكأنّهم أوّل استعمالهم هذه الصيغة كانوا يقْصدون بها انحصار الفعل في نفس الفاعل، فقالوا اقتلَ، بمعنى حصول القتل في نفس الفاعل" [15]، لكنّه ذهب بهذا المعنى إلى المطاوعة، على أنّ المطاوعة ـ كما يقول ـ تقرُب جدّاً من المبني للمجهول. ويُلاحَظ أنّ جِماع ما ذكره من انحصار الفعل في نفس الفاعل، أو المطاوعة، أو المبنيّ للمجهول يدور في فلك ذاتيّة الفعل. أمّا مجمع اللغة العربية في القاهرة فقد اكتفى بضبط شروط مطاوعة افتعل للمجرّد، وهو جهد لا يُقدّم في الدلالة الصرفيّة شيئاً، ولم يلتفت إلى مشكلة اضطراب معاني افتعل المتكاثرة وتداخلها[16].

واختصّ مصطفى التوني صيغة افتعل ودلالاتها بدراسة مستقلّة، حمل فيها كثيراً من أمثلة افتعل الّتي ذكرها على المطاوعة، وعلى الرغم من اضطراب تقسيمه للأمثلة على المطاوعة وغيرها من المعاني الصرفيّة الأخرى؛ إذ لم تكن الحدود بين معاني الأمثلة

واضحة، فإن كثرة حمله الأمثلة على المطاوعة تعني إحساسه بالدلالة الصرفيّة الحقيقيّة لافتعل[17]. فكان كثيراً ما يُدرج مع معنى المطاوعة عبارة: (وهو لفعل الفاعل بنفسه)، غير أنّه لم يكن يذكرها توضيحاً لمعنى المطاوعة، ولا على أنّها معنى مستقلّ.

2 - المشاركة

ذكر سيبويه أنّ افتعل تأتي بمعنى(تفاعَلَ) الدالّ على المشاركة، قال: "وأمّا تفاعلت فلا يكون إلا وأنت تريد فعل اثنين فصاعداً. . . وقد يشركه افتعلنا، وتريد بهما معنىً واحداً، وذلك قولهم: تضاربوا واضطربوا، وتقاتلوا واقتتلوا، وتجاوروا واجتوروا، وتلاقوا والتقوا"[18]. غير أنّ المشاركة في صيغة افتعل هي معنى طارئ كما يُستفاد ذلك من عبارته، وهي في تفاعل معنى أصيل وجوهريّ، ولا تؤدي صيغة افتعل معنى المشاركة إلّا في الأمثلة الّتي شاركتها فيها تفاعل، وهو ما تنبّه إليه ابن مالك، فقال: لا يوجد افتعل دالّاً على المشاركة مستقلّاً دون تفاعل، لكنّه يوجد تفاعل دالاً عليه دون افتعل، مثل: تناظر القوم، وتجادلوا، وتنازعوا، وتبايعوا[19].

فلا تدلّ استمع - مثلاً- على المشاركة؛ لأنّ اللغة لم تستعمل تسامعوا بمعنى استمعوا، كما أنّ افتعلوا لا تأتي نظيراً لكلّ مثال على تفاعلوا، كما جاء عند ابن مالك قبل قليل، فكيف يمكن إذاً تفسير ورود طائفة من أمثلة افتعل على معنى المشاركة في ضوء دلالتها الجوهريّة المشار إليها؟

إنني أرى أنّ معنى المشاركة دخلَ الأمثلةَ المذكورةَ من معناها المعجميّ؛ فالأمثلة الّتي ذكرها سيبويه، وهي: اضطربوا واقتتلوا واجتوروا والتقوا، وما يشابهها، يرشّحها معناها المعجمي لمعنى المشاركة، فهي تقبل من حيث المعنى المجرّد التبادل بين فاعلها ومفعولها على فعلها، فيمكن أن يكون فاعلها مفعولاً، ويمكن أيضاً أنْ يكون مفعولها فاعلاً، نحو: ضربَ زيدٌ عمراً، أو ضَرَبَ عمروٌ زيداً، وكذا الأمر في سائرها. وإذا ما جاءت افتعل منها، فإنها لا تفارق معناها الصرفيّ الجوهريّ، وهو قَصْد الفعل من ذات الفاعل، نحو: استبق القوم، أي قَصَدوا إلى هذا الفعل من ذاتهم، واشتبه الثمرُ؛ أي كأنّما قَصَد وعمَد إلى فعل الشبه من ذاته، ويصبحُ الفعلُ لازماً بصيغة افتعل، ويَنْدَمج

الفاعل والمفعول ويُسنَدُ الفعل إليهما؛ فيداخلها معنى المشاركة بهذا، ودلالتها الصرفيّة على ما ذكرتُ. قال ابن جنّي: " فأمّا تفسير أهل اللغة أنّ استاف في معنى تسايفوا فتفسيرٌ على المعنى، كعادتهم في أمثال ذلك "[02]؛ أي وإن دلّتْ افتعل على المشاركة مثل تفاعل غير أنّها تفارقها في الدلالة الدقيقة؛ لأنّ حقيقة الدلالة الصرفيّة في كلّ منهما مستقلّة عن الأخرى، فالفرق بين اختصم القوم وتخاصموا: أنّ اختصم فيها مشاركة من حيث أشرت، وقوّة في الفعل متأتية من معنى: قَصَدوا الفعل وعمدوا إليه من ذات أنفسهم، أمّا تخاصموا فليس فيها إلا معنى المشاركة[21].

3 - الاتّخاذ

أوّل من ذكره سيبويه إذ قال: "اشتوى القوم، أي اتّخذوا شِواءً، وأمّا شويت فكقولك أنضجت، وكذلك اختبز وخَبَز، وطَبخَ واطّبخ، واذّبح وذبَحَ، فأمّا ذبَح فبمنزلة قوله: قتله، وأمّا اذّبحَ فبمنزلة اتّخذ ذبيحةً "[22]. ولا يفارقُ معنى الاتّخاذ الدلالة الصرفيّة الجوهريّة لصيغة افتعل إلا في اليسير، فلا فرقَ بين تفسير دلالة اشتوى -مثلاً- على: اتّخذ شواءً، أو قَصَد إلى فعل الشواء بذاته، إلّا أنّ عبارة سيبويه باعتبار الاستعمال الّذي آلت إليه افتعل، ولا سيّما هذه الأمثلة؛ لأنّ مفعولها ممّا يُتَّخَذ، فتجاوز الاستعمال بها قَصْد الفعل من ذات الفاعل إلى ما وراء ذلك من غرض. وممّا يؤيّد أنّ الاتّخاذ معنىً استعماليّ على ما وضّحت، وليس دلالة صرفيّة محضة للصيغة، أنّ سيبويه حمل الفعل(احتبس) على الأمثلة المتقدمة ـ وهي شوى وأخواتها ـ في معنى الاتّخاذ، فقال: "وأمّا قولك حبسته فبمنزلة قولك ضبطته، وأمّا احتبسته فقولك: اتخذته حبيساً، كأنّه مثل شوى واشتوى "[32]، غير أنّ معنى الاتّخاذ يتخلّف إن كان الفعل لازماً، وتبقى الدلالة الجوهريّة الّتي ذكرتها هي عماده، إذ دارَ في الاستعمال النثري القديم الفعل احتبس لازماً، كقولهم: احتبس المطرُ، أو احتبس علينا فلانٌ، وهذا مما لا اتّخاذ فيه، ودلالته واضحة في القَصْد إلى الفعل من ذات الفاعل. ومما جاء منه في الشعر قول عُبيد الراعي يصف إبِلاً:

حتّى إذا احْتَبَسَتْ تُبَقّي طِرقَها ... وثنى الرعاةُ شكيرَها المنجولا

شهريْ ربيعٍ ما تذوقُ لَبونُهم ... إلّا حُمــوضاً وَخمَـةً وذبيلا[24]

وقد لامس الرضي ما بين الاتّخاذ والدلالة الجوهريّة من قرب حين قال شارحاً عبارة ابن الحاجب في الاتّخاذ: " والظاهر أنّه لاتّخاذك الشيء أصله لنفسك، فاشتوى اللحم أي عمله شواءً لنفسه، وامتطاه أي جعله مطيّة، وكذا اغتذى وارتشى واعتادَ "[25]. وهي زيادة طريفة تقيّد الفعل بأنّه مقصودٌ لذات الفاعل، وتعزّز ما ذكرته سابقاً من أنّ الاتّخاذ لا يختلف عن الدلالة الجوهريّة إلّا بكونه معنًى عامّاً توسّعَ إليه الاستعمال في الأفعال الّتي تتطلّب مادةً أو شيئاً يُتَّخَذ. وقد عدّ مصطفى جواد الاتّخاذ في افتعل قياسيّاً[26]. وهو مذهب يؤيّد عندي الدلالة الجوهريّة الّتي آنستها في افتعل لِمَا وضّحْتُ من قرب شديد ما بينها وبين الاتّخاذ.

4 - التصرُّف والاجتهاد والطلب

قال سيبويه: "وأمّا كَسَب فإنه يقول: أصابَ، وأمّا اكتسبَ فهو التصرُّف والطلبُ والاجتهادُ بمنزلة الاضطراب "[27]. وتفريق سيبويه هذا بين المجرّد والمزيد يقرّب الأمر من الدلالة الحقيقيّة لصيغة افتعل لولا جنوحه نحو المعنى المعجمي الّذي كرّسه الاستعمال؛ فأكثر ما يستعمل فِعْل الكَسْب ومشتقّاته في طلب الرزق، وتفريق سيبويه السابق بين كَسَبَ واكتسبَ على هذا الاعتبار، وهو اعتبار لا يُجافي الدلالة الصرفيّة الحقيقيّة الّذي صدر عنها، فكسبَ المجرّد: يعني فعل الكسب على إطلاقه، كما فسّره سيبويه بأصابَ، واكتسبَ: قَصَد إلى الكسب من ذاته وعَمَد إليه، فاستكمل الاستعمال هذه الدلالة ووسّعها، بأنّ مَنْ يعمد إلى الكسب يتصرّف ويجتهد ويحتال له، ويزاول أسبابه، حتى سمّى ابن مالك هذا المعنى في اكتسب واعتمل بالتسَبُّب[28]، على اعتبار أنّ كَسَب فعل طبيعيّ على إطلاقه، أمّا اكتسب ففيه تسبّب من فاعله وسَعْيٌ إليه، وهذا كلّه يرفد الدلالة الجوهريّة ويعزّزها، ولعلّ عبارة الرضي أقرب إلى الدلالة الجوهريّة عندما شرح معنى الاكتساب، وفسّر التسبُّب، قال: "الاجتهاد والاضطراب في تحصيل أصل الفعل، فمعنى كسبَ: أصابَ، ومعنى اكتسب: اجتهد في تحصيل الإصابة بأن زاول أسبابها "[92]. وقوله: اجتهدَ في تحصيل فعل الكَسْب يتضمّن في جوهره: عمَدَ إلى الفعل وقَصد إليه.

وفسّر أبو حيّان الأندلسيّ الفعل (اكتتب)[30] بقوله: كتبها بيده، ثم أردف أنّ لفظ افتعل مُشْعِرٌ بالتكلّف والاعتمال[13]. وكلتا عبارتيْه تشير إلى الدلالة الصرفيّة الجوهريّة الّتي يدور عليها البحث.

أمّا اعْتَملَ فقد أصاب بعضهم الدلالة الجوهريّة فيه، جاء في لسان العرب: "واعْتَمَلَ الرجلُ: عَمِلَ بِنَفْسِهِ؛ أنشد سِيبَوَيْهِ:

إِنَّ الكَرِيمَ ،وأَبِيك ،يَعْتَمِل إِنْ لَمْ يَجِدْ يَوْمًا عَلَى مَنْ يتَّكل

فيَكْتَسِي مِنْ بَعْدِها ويكتحِل

وَقِيلَ: العَمَلُ لِغَيْرِهِ والاعْتِمالُ لِنَفْسِهِ؛ قَالَ الأَزهري: هَذَا كَمَا يُقَالُ اخْتَدَم إِذا خَدَم نَفْسَه، واقْتَرَأَ إِذا قَرَأَ السلامَ عَلَى نَفْسِهِ . . . وَفِي حَدِيثِ خَيْبَرَ: دَفَع إِليهم أَرْضَهُم عَلَى أَنْ يَعْتَمِلوها مِنْ أَموالهم "[23]؛ أي يعمدوا إلى العمل فيها بذاتهم وبأموالهم.

وقد تأثر بعض المحدَثين بمعنى التصرف والاجتهاد والطلب في اكتسب، وجنوحه نحو الدلالة المعجميّة، فحمل(اكتدّ) على معنى الطلب[33]، واكتدّ: تختلط به أيضاً الدلالة الصرفيّة، وهي: القَصْد إلى الكدّ والعَمْد إليه بالدلالة المعجميّة، وهي: التماس الرزق بعمل ومشقّة. والطلب إن كان بمعنى التماس الفعل، فإنّه يزاحم الدلالة الصرفيّة الجوهريّة ويؤيّدها.

5 - الإغناء عن الثلاثي المجرّد

ذَكَر سيبويه أنّ افتعل قد تُبنى ولا يُراد منها معنى الاتّخاذ أو التصرُّف والطلب، نحو: افتقر واشتدّ، واستلم، أي أنّ افتقر واشتدّ واستلمَ مِثْلُها مثل فَعَلَ الثلاثي المجرّد ليس فيها معنى صرفيٌّ زائد. وإن يكن سيبويه أصاب في أنّ اللغة استغنت بافتعل هنا عن الثلاثي من جهة الاستعمال فإن ذلك لا يعني أنّها فارقت معناها الصرفيّ الأساسي، ذلك أنّ افتقر بُنيَت من الاسم(فقير) وهو منقول لهذا المعنى من قولهم: فقير ومفقور، أي مكسور الفِقار، قال ابن فارس: "والفقير المكسور فِقار الظهر، وقال أهل اللغة: منه اشتُقَّ اسم الفقير، وكأنّه مكسور فقار الظهر، من ذلّته ومسكنته"[43]. وقياس فعله الثلاثيّ

الّذي لم يُستعمَل هو فَقُرَ(فَعُلَ)[53]، غير أنّه استُغنِيَ بافتقر(افتعل)عنه. والسؤال هو: لماذا عَمَدت اللغة إلى المزيد(افتعل) دون غيره واستغنت به عن الثلاثيّ فَقُرَ؟

إنّ السبب ـ كما يبدو لي ـ هو أنّه لمّا كان الفعل الثلاثي (فَعُلَ) أغلب ما يكون في الغرائز؛ أي الأوصاف المخلوقة[63]، مثل: حَسُنَ، وكَبُرَ، وصَغُرَ، وما شابه، والصفة منها فعيل، والذاتيّة – أي أنّها تقع من ذات الفاعل – في هذه الأفعال معنى ملازم للغريزة فيها، ولمّا فارق(فَقُرَ) تلك الأفعال من جهة أنّه ليس فعلاً غريزيّاً – تحوّلت اللغة إلى ما يغني عنه من الصيغ المزيدة، فلم تجد أوفق من افتعلَ (افتقر)؛ لأنّه فعل ذاتيّ، وذاتيّته متأتيّة له من الدلالة الصرفيّة الجوهريّة لافتعل، فسَدَّ مسدّ فَعُلَ. فكأنّ مَن افتقر: إنّما قَصَدتْ حاله هذا الفعل وعَمَدتْ إليه.

أمّا اشتدّ فإنّ الثلاثي(شَدَّ) مستعمل، وهو متعدٍّ كقولنا: شدّ زيدٌ الحبلَ، وجاء افتعل منه ليعبّر عن ذاتيّة الفعل وتقَصّده من الفاعل، وهو ما اعتبره القدماءُ مطاوعةً، وإنّما المطاوعة أنّ يتجرّد الفاعل للفعل من ذاته استعداداً وقَصْداً وعمداً.

واستلم يغني عن الثلاثي لكنّ ذلك لا يُلغي معنى افتعل فيه؛ لأنّه أغنى عن الثلاثي باعتبار دلالة افتعل، لا أنّها بمعنى الثلاثي فيه، واستلم الحَجَر الذي ذكره القدماء هو افتعل من السَلام، كما قال الأزهريّ[37]، وفسّره الزمخشريّ بقوله: "وهو أن تتناوله وتعتمده بلمس أو تقبيل أو إدراك بعصا"[38]، وهذا واضح الدلالة على المعنى الصرفيّ المراد: وهو القَصْد إلى الحجر والعَمْد إليه للسلام والتحيّة. هذا هو أصل استلم ولا يخفى أنه توسّع في الاستعمال ليدلّ على أي تناوُل وأَخْذ باليد.

6 - مرادفة تفعّل

حمل سيبويه بعض أمثلة افتعل على(تَفَعَّلَ) وأنّها مثلها في نحو: ادّخلوا واتّلجوا، يريدون: يتدخّلون ويتولّجون[39]. وهذا على سبيل ترادف الصيغ المتقاربة معنىً في الاستعمال كما سمعه سيبويه، أمّا أصل دلالتها الصرفيّة، فلكلّ منها معنى صرفيّ دقيق ليس في الأخرى، فادّخلوا واتّلجوا فيها قَصْديّة الفعل من ذات الفاعل، وهو ما يميّزه من جهة عن الثلاثي المجرّد، ومن جهة أخرى عن تفعّل المزيد الّذي حمله عليه سيبويه.

وقد حرّرت معنى تَفعَّل في بحث آخر[40]، وتبيّن هناك أنّ معناها التكلّف، وليس في ادّخل واتّلج (وهما على افتعل) تكلّف، ولكنّه قَصْد الفعل من ذات الفاعل.

7 - مرادفة المجرّد(فَعَلَ)

لم يفرّق سيبويه في الدلالة بين(قَرَأتُ، واقتَرَأتُ) وذهب إلى أنّهما بمعنى، ويريدون بهما شيئاً واحداً[41]. ولا يُتّهم سيبويه وهو الثقة في أنّه سمع ذلك في استعمال العرب، ولكنّه -كما أشرتُ- من باب التوسُّع في المعاني إن كانت متقاربة، فقد يقولون: قرأتُ الكتاب، واقترأتُ الكتاب، ويكون عموم المعنى حصول القراءة، لكنّ أصل الدلالة الصرفيّة في الصيغة مختلف، فقرأ الثلاثيّ يعني مجرّد حصول فعل القراءة، دون زيادة أيّ معنى آخر عليه، أمّا اقترأ: ففيه معنى المجرّد زيادةً على قَصْد الفاعل إلى الفعل من ذاته، وهو ما ألمع إليه ابن جنّي لمّا حمل اقترأ على اكتسب؛ أي أنّ فيها من القوّة ما في تلك[42]، وقال ابن مالك مفرّقاً بين المجرّد والمزيد: "فعَمِل وكَسَب يُطلقان على كلّ عملٍ وكسبٍ، واعتمل واكتسب لا يطلقان إلا على ما في حصوله تكلّف وجهد"[43].

وإذا ما أخذنا عموم الدلالة كما درجت في الاستعمال فمن الصعوبة بمكان أن نقطع بترجيح أي المعنيَيْن هو المراد بمثل ما أنشد الخليل:

وما اقترأتُ كتاباً منكِ يبلغني إلّا تَنفّسْتُ من وَجْدٍ بكم صُعُدا[44]

فربّما عنى القائل دلالة اقترأ؛ لما فيها من قَصْد وحرص على كتاب الحبيب، وعَمْدٍ من الفاعل إلى الفعل من ذاته، وربّما أراد معنى المجرّد على إطلاقه، غير أنّ مثل هذا الترادف الاستعماليّ لا ينفي الدلالة الصرفيّة.

قال ابن الأثير: "تقول: قعدتُ إلى فلان أحدّثه، ولا تقول: اقتعدتُ إليه، وكذلك تقول: اقتعدتُ غاربَ الجمَل، ولا تقول: قعدتُ على غارب الجمل، وإن جاز ذلك، ولكنّ الأوّل أحسن"[45]. وما نقله ابن الأثير من استعمال العرب يؤيّد الدلالة الصرفيّة لافتعل الّتي ذهبتُ إليها، فقعد المجرّد: هو الفعل العامّ الطبيعيّ جاء في سياقه في العبارة الأولى، في حين أنّ العبارة الثانية، وهي: اقتعدتُ غاربَ البعير، لا يكون الفعل فيها إلا بقَصْد الفاعل إليه من ذات نفسه؛ لأنّه يلزمه اعتمال وجُهد فوق ما في المجرّد.

8 - الخطفة

فرّق سيبويه بين نزع وانتزع، وقلع واقتلع، وجذب واجتذب، وكان تفريقه دقيقاً؛ لأنّه وقف على الفرق اللطيف في الدلالة الصرفيّة بين المجرّد والمزيد، قال: "وأمّا انتزع فإنّما هي خطفة، كقولك: استلبَ، وأمّا نزع فإنّه تحويلك إيّاه وإن كان على نحو الاستلاب، وكذلك قلع واقتلع، وجذب واجتذبَ[بمعنى واحد]"[46].

وعدّ ابن عصفور الخطفة الواردة في عبارة سيبويه معنىً صرفيّاً مستقلّاً من معاني افتعل[47]، وتابعه أبو حيّان الأندلسي[48]. وعلى أيّ حالٍ فإنه من الواضح أنّ سيبويه يريد بالخطفة معنى القوّة في انتزع وأخواتها، وهو ما ليس في المجرّد منها، وهو معنى يتوجّه بسهولة إلى الدلالة الصرفيّة الجوهريّة في هذا البحث؛ فالقوّة في صيغة افتعل إنّما لابَسَتْها من قَصْد الفاعل إلى الفعل والعَمْد إليه، والخطفة الّتي ذكرها سيبويه تجمع الدلالة الصرفيّة والمعجميّة المستفادة من الأمثلة المذكورة، أمّا أصل الدلالة الصرفيّة فهي أنّ الفاعل قَصَد إلى هذا الفعل وعَمَد إليه من ذات نفسه.

9 - القوّة والمبالغة

جعل ابن جني صيغة افتعل من الصيغ ذات القوّة في مقابل المجرّد، جاء ذلك عنده في باب (قوّة اللفظ لقوّة المعنى)[94]، ونسب ذلك لأبي العباس المبرّد، ومثّل عليه بكلمة مقتدر من قوله تعالى ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[القمر: 42]، قال: "فمقتدر هنا أوفق من قادر، من حيث كان الموضع لتفخيم الأمر وشدّة الأخذ"[05].

وزيادةً على قوّة اللفظ بتكثير حروفه الّتي ذكرها ابن جنّي، فإنّ الدلالة الصرفيّة الّتي ذكرتُها لافتعل تتّفق مع قوّة افتعل قياساً بالمجرّد (فعل)؛ لأنّ المجرّد الثلاثي يفيد حصول الفعل دون مزيّة أخرى، أمّا افتعل فتفيد حصول الفعل بقَصْد وتعمّدٍ من الفاعل ذاته، وهو ما يعطيه معنى الاجتهاد والاعتمال كما لمس ذلك القدماء، ولذا هو أقوى، ويناسب السياقات الّتي تتطلّب هذه القوّة في الفعل. ولعلّ هذا ما جعل الاستعمال يذهب بافتعل إلى ما يتعلّق بالشر أو الإثم مقابل فَعَلَ الّتي جعلها في الخير من باب أنه أقرب إلى الطبع

والفطرة، وبناءً على هذا فسّر بعضهم[15] قوله تعالى﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: 286]، ومثله بيت الكتاب:

إنّا اقتسمنا خطّتَيْنا بيننا فحملتُ بَرّةً واحتملتَ فَجارِ[25]

فالبرّ فعل أقرب إلى الطبع والفطرة فجاء معه المجرّد(حَمَل)، والفجار يتطلب قَصْد واعتمال فجاء معها افتعل(احتمل).

ووجّهَ بعضهم قوّة افتعل المذكورة إلى المبالغة، وكان البطليوسي هو أوّل من ذكر معنى المبالغة، ويريد بذلك قوّة الفعل الّتي ألمع إليها ابن جنّي آنفاً، قال: "وجاء بالفعل على وزن افتعل للمبالغة في القَوْد، كما يُقال كسب واكتسب"[35]. ولا أرى المبالغة إلّا ناتجة هنا من معنى تقَصّد الفعل من الفاعل بنفسه. قال الشعراوي: " فَعَل: أي الفعل الطبيعيّ الّذي ليس فيه مبالغة ولا تكلّف، أمّا افتعل ففيه مبالغة وتكلّف"[45]، والحقّ أنّ فيه تقَصّداً من الفاعل ذاته، وهو ما أعطى هذه الصيغة قوّةً عُدَّتْ مبالغةً، ورأوا التقَصّد والتعمُّدَ تكلّفاً.

والبطليوسي نفسه أشار في موضع آخر إلى أنّ الكثرة (ويعني المبالغة) دلالة رئيسة في افتعل، ولعلّه لمس ملازمة القوّة المشار إليها لصيغة افتعل حيثما جاءت، قال: " لأنّ العرب إذا استعملت فَعَل وافتعلَ بزيادة التاء، كان الّذي لا زيادةَ فيه يصلح للقليل وللكثير، والّذي فيه الزيادة للكثير خاصّةً. . . "[55].

10 - الأخذ

ربط السُّهيليّ بين معنى التاء في افتعل ومعنى الأخذ، مستلهماً ذلك من بعض الأمثلة، نحو: اكتال، وابتاع، واشترى، وما شابه، قال: "ودخلت التاء في اكتالوا لأنّ افتعل في هذا الباب كلّه للأخذ؛ لأنّها زيادة في الحروف الأصليّة تؤذن بمعنى زاد على معنى الكلمة. . . كالمبتاع، والمكتال، والمشتري، ونحو ذلك يدخل فعله من التناول والاحتراز إلى نفسه، والاحتمال إلى رحله ما لا يدخل فعل المعطي والبائع"[56].

وأرى أنّ انقسام فَعَلَ وافْتَعَل على التقابل الضدّيّ في مثل هذه الأفعال ليس بعيداً عن معنى افتعل المقرّر في هذا البحث، بل هو فائدة التقطتها اللغة من الدلالة الصرفيّة

واستعملتها في الدلالة التقابليّة. فالفعل(كالَ) المتعدّي: يعني حصول الفعل وحدوثه بمعناه المجرّد من أي زيادة، أمّا اكتال ففيها تقَصُّد فعل الكيل من ذات الفاعل، وكذا هي العلاقة بين شرى واشترى، وباع وابتاع. ولأنّ هذه الأفعال تأتي على وجهين ويكون فيها طرفان، إمّا معطياً وإمّا آخذاً، بناءً على معناها المعجميّ وهي مجرّدة، فقد ناسب افتعل الأخذ، وناسب المجرّد (فَعَل) العطاء، فشرى تعني باع، وكلاهما إعطاء وبذل، ويقابلهما فِعْلُ مَنْ يأخذ، فناسب(اشترى) الآخذَ؛ لما في افتعل من قَصْد الفعل والتعمُّد إليه، وكذا ابتاع، واكتال. فقَصْد الفعل من الفاعل وتعمّدُه كأنّه طلبٌ له، فصارت اكتال: فَعَل الفعلَ وقَصَده من نفسه، فكأنه طلبه لنفسه، وكذا اشترى وابتاع، في حين أنّ المجرّد يعني الفعل على إطلاقه فيبقى ملتبساً بمن يُجريه على سبيل الدفع والإعطاء. ومن ثم فإن معنى الأخذ ليس دلالة صرفيّة، ولكنّه باعتبار ما آلت إليه الدلالة العامة للأمثلة المذكورة في الاستعمال. ولا أستبعد أنّ السهيلي أخذ هذا المعنى من مثل عبارة الزمخشري، وهو يبيّن دلالة الفعل اكتتب، قال: "اكتتبها لنفسه، كما تقول: استكب الماءَ واصطبّه: إذا سكبه وصبّه لنفسه وأخذه"[57]. وعبارة الزمخشري لا تذهب بالأخذ مذهباً بعيداً عن الدلالة الجوهريّة لافتعل، فالقَصْد والعَمْد يؤديّان في بعض الأمثلة إلى الأخذ، كما أديّا من قبل إلى الاتّخاذ. قال الخليل: "اطّعمت الشجرةُ... أخذت طَعْمَها وطابتْ"[58]، وبناءً على معنى افتعل يكون معنى اطّعم: قَصَد الفاعل إلى الفعل وعمَدَ من ذاته إليه؛ أي كأنّ الشجرة في المثال قَصَدت الطَعْم من ذات نفسها وأخذته.

11 - حدوث الصفة

جعل الثعالبيّ حدوثَ الصفة من الدلالات الصرفيّة لصيغة افتعل، وذلك نحو: افتقر وافتتن[95]، وهذا المعنى إنّما هو بالنظر إلى ظاهر معناها العام، والأوْلى بها ذاتيّة الفعل الّتي تُسْفر عن الدلالة الصرفيّة الجوهريّة. وقد تقدمت مناقشة المثال (افتقر) وتوضيح الدلالة الصرفيّة فيه، وأنّه نظير فَعُلَ الغريزيّ إلا أنه ليس بغريزيّ، ولكنّه يناظره بذاتيّة الفعل، نحو حَسُن، وصَغُرَ وكَبُرَ، ومن الممكن أنّ نفسر هذ الأفعال على ظهور صفة الحسن والصّغر والكِبَر، غير أنّ ذلك ليس دلالة صرفيّة لها، ولم يقُل به أحد، فهذه الأفعال الذاتيّة تحتمل ظهور الصفة لكن ليس على سبيل الدلالة الصرفيّة، والذاتيّة الّتي

جعلت افتعل تناظر هذه الأفعال إنّما جاءت من قَصْد الفاعل إلى الفعل فيها من ذات نفسه، وهو مكمن الدلالة الصرفيّة فيها.

12 - فعل الفاعل بنفسه

وهو معنى ذكره ابن مالك وأصاب به الدلالة الصرفيّة الجوهريّة لصيغة افتعل، غير أنّه لم يجعله معنى أساسيّاً وحيداً للصيغة، قال: " . . . لفعل الفاعل بنفسه، نحو اضطرب وائتكلّ من الغيظ، وارتعد من الحمّى، واختتنَ واستاك وامتشط واكتحل وادّهن "[60]. وقد ذكر أبو حيّان هذا المعنى في تفسيره، وفسّر به صيغة اختص؛ وانتهى؛ إذ حملهما على فعل الفاعل بنفسه[61]، وإن لم يلتفت إلى توحيد دلالة الصيغة أيضاً.

13 - التخيُّر

هو معنى ذكره ابن مالك، ومن أمثلته عنده: انتصى، اصطفى، انتخب، اجتبى، اعتمى، انتقى[62]. ولا يخفى أثر الدلالة المعجميّة وطغيانها في هذا المعنى على الدلالة الصرفيّة الأساسيّة، وقد وضّحت في المبحث الأول حقيقة هذا المعنى وعلاقته بالدلالة الصرفيّة الجوهريّة، بما يغني عن الإعادة هنا.

14 - مرادفة استفعل

نصّ ابن مالك على هذا المعنى، فذهب إلى أنّ من معاني افتعل موافقة استفعلَ نحو: ارتاح واستراح، واعتصم واستعصمَ. وشتّان بين المعنيين على صعيد الدلالة الصرفيّة الدقيقة، فاعتصمَ: قَصَد الفاعل من نفسه هذا الفعل وتعمّده، أمّا استعصم فدلالته الصرفيّة الطلب والارتياد[63]. وأرجّح أنّ ابن مالك استفاد هذا المعنى من عبارة سيبويه التي ألمح فيها إلى أنّ استفعل قد ترادف افتعل، وذلك بعد أنْ بيّن معنى الطلب في الفعل (استخرج) ثم ذكر أنّه قد يرادفه افتعل، وهو اخترج، قال: "وتقول استخرجته: أي لم أزل أطلب إليه حتّى خرج، وقد يقولون: اخترجته، شبّهوه بافتعلته وانتزعته "[64]. وفي هذا إشارة واضحة إلى أنّ استعمال افتعل موضعَ استفعل من باب التشبيه بعدما جرت الصيغتان في الاستعمال، فأخذ الاستعمال بعموم المعنى ورادفَ بينهما، كما هو شأن كثير

من المتقاربات، أمّا من ناحية الدلالة الصرفيّة ففي كلّ منهما دلالة ليست في الأخرى كما وضّحت، وليس ذلك بخافٍ على ابن مالك، ولكنّه أرادَ واقع الاستعمال والتداول.

وذكر السيرافي عن أبي بكر مبرمان عن أصحابه الّذين أخذ عنهم التفسير أنّ استخرجته: طلب خروجه وقتاً بعد وقت، واخترجته: أخرجته دفعةً واحدة، كما قالوا انتزعته[65]. وهو تفريق دقيق يؤيّد ما نحن فيه من أنّ لكلّ صيغة معنىً خاصّاً لا ينازعها فيه غيرُها على صعيد الدلالة الصرفيّة المحضة. وقال الزمخشري إشارةً للطلب في استعصم: "كأنّه في عصْمَةٍ وهو يجتهد في الاستزادة منها، ونحوه: استمسك، واستوسع الفتق..."[66]، أمّا اعتصم: فقَصَد إلى العصمة من ذاته وعمدَ إليها. هذا هو الفرق الصرفيّ الّذي لا يمكن تجاهله، وإن تقاربا استعمالاً. ولعلّ عذر الاستعمال في التقريب بينهما هو أنّ افتعل فيها شيءٌ من الطلب من جهة ما، لكنّ طريقه فيها مختلف اختلافاً لطيفاً لا يكاد يظهر، فمن قَصد إلى العصمة كأنّما التمسها وطلبها، لكنّها هنا على سبيل التوجه للفعل من ذات الفاعل بإصرار، أمّا الطلب في استعصم، فهو كما وضّحه الزمخشري، استزادة ونشدان. وعلى هذا التقارب حمل أبو حيّان قراءة (فاقتالوا أنفسكم) على معنى استفعل أي الطلب[76]، بل إنّ بعضهم جعل الطلب مع معنى التصرف والاجتهاد في مثل اكتسب كما مرّ.

15 - إظهار الفعل

وهو معنى ذكره علي بن عثمان شارح البناء، بعد أنّ عدّد المعاني الشائعة للصيغة، فقال: "ومنها إظهار الفعل، نحو: اعتذر؛ أي أظهر عذرَه"[68]. وهو شرح لدلالة الفعل المعجميّة، وليس دلالة صرفيّة.

16 - الإزالة

ذكر الكفويّ (شارح البناء) معنى الإزالة، نحو: انتصر، أي أزال النصرة عنه، ومنه انتقم كما قال: وأيُّ لَبْس في هذا حينما تكون الدلالة الصرفيّة على هذا النحو، وهل انتصر فعلاً في هذه الصيغة معناها أزال النصرة عنه؟ وهل الدلالة الصرفيّة في انتقم: أزال النقمة عنه؟ ولم يذكر الكفويّ أيّ مسوّغ أو توضيح لهذه المعاني الّتي زادها

للصيغة. وإنّما أوردته هنا لتفنيده، ولإظهار مدى حاجة الدلالة الصرفيّة للتحرير في ازدحام المعاني وتكاثرها.

17 - علاقة التقابل

وهو معنى انفرد به مصطفى التوني في دراسته المستقلة لصيغة افتعل[69]، ويعني به أنّ افتعل تقابل المجرّد(فعل) في الدلالة أحياناً، نحو: شرى واشترى؛ أي: أعطى وأخذ، وكال واكتال مثلها، وباع وابتاع. فكلّ زوجيْن يتقابلان على طرفي نقيض.

وهذه – فيما أرى – دلالة استعماليّة لغويّة استفادت اللغة فيها من معنى افتعل الجوهريّ وجَعَلَتْه مقابلاً للمجرّد في الأمثلة الّتي ذكرها وما شابهها. وهو معنى يتداخل مع معنى الأخذ الذي سبق، وقد وضّحت هناك صدور هذه المقابلة عن الدلالة الصرفيّة الجوهريّة، وكيف آلت إليها في الاستعمال. فالمقابلة استعمال للدلالة الصرفيّة الجوهريّة وليس هو دلالة صرفيّة. وقد وسّعَ التونيُّ التقابلَ إلى دلالات أُخَر كالمعنى الإيجابيّ والمعنى السلبيّ، في نحو(جرَحَ) إذ يعدّه إيجابيّاً، واجترح سلبيّ؛ لأنّه مع السيئات. وقد يكون كسب في الخير واكتسب في الشرّ من ذلك.

وقد يكون التقابل بين ما هو مادّي ومعنويّ، نحو: سرقَ (في الماديّات)، واسترق (في المعنويّات مثل السمع). وكلّ ما وسّع الدلالة إليه ما هي إلا دلالات استعماليّة مكتسبة من الدلالة الصرفيّة الحقيقيّة لافتعل، وليست معاني صرفيّة لافتعل، فالفعل(جرَحَ) مجرّد، ودلالته طبيعيّة على معناها دون زيادة، أمّا اجترح: فهو معنى جَرَح زيادةً على ما في الصيغة من العَمْد والقَصْد للفعل من ذات الفاعل، ومن ثم ذهب به الاستعمال إلى جانب السيئات؛ لأنّ فعلها يحتاج إلى تعمّد واعتمال من ذات الفاعل. وهو الفرق ذاته بين كسب واكتسب الّذي سبقت الإشارة إليه.

18 - تخصيص المعنى

وهو من المعاني الّتي جاء بها التوني أيضاً[70]، فابتلى من (بَلَوَ) اختصّ بالاختبار، واضطرّ من ضَرّ اختصّت بالإلجاء، وفي هذا ما يشبه ما مرّ سابقاً في معنى المقابلة، وهو الخلط بين الدلالة الصرفيّة وما يجري به الاستعمال في الفعل مستفيداً من الدلالة الصرفيّة

للصيغة؛ لأنّ الدلالة الصرفيّة الجوهريّة في مثل هذا ترشّحه لهذا الاستعمال المحدّد، فالفعل المجرّد(بلَوَ) معناه الاختبار أيضاً، كقوله تعالى﴿لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: 40]، ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: 168]، والفرق بين المجرّد والمزيد (ابتلى) ليس تخصيص المعنى ولكنّه الفرق الصرفيّ الدلاليّ بين المجرّد والمزيد(افتعل)، أي أنّ الزيادة الدلاليّة في ابتلى إنّما هي في: قَصَد الفعل وتعمّدَه من ذاته. والقول نفسه في اضطرّ ومجرّدها(ضرّ)، فاضطرّ من الضرر وهو الضيق[17]، ولا يعني الإلجاء أنّه معنى مستقلّ عن أصل المادّة جاءت به افتعل، ولكنّ دلالتها الصرفيّة هيأته لهذا المعنى الاستعماليّ.

19 - الاختلاف البَيِّن في المعنى

وهو من المعاني الّتي ذكرها التوني أيضاً[27]، ويعني بذلك الاختلاف في الدلالة بين المزيد (افتعل) ومجرّده، نحو: أخذ واتّخذَ، وجبى واجتبى، وقدا واقتدى. والحقيقة أنّ ما بينهما من اختلاف إنّما هو اختلاف بمقدار ما في(افتعل) من دلالة زائدة عن المجرّد، ومن ثمّ نعود إلى أنّ المسألة إنّما هي في دلالة(افتعلَ) الصرفيّة، وكان الأَوْلى تحديدَها حتى يكون الفرق بينها وبين المجرّد جليّاً. فاتّخذ مشتقة من أخذ، وتزيد على المجرّد بمعنى تقَصّد الفعل وتعمّده من ذاته، فليس بينهما اختلاف سوى هذا. وذهب إلى أنّ في الفعل المزيد اجتبى معنى الاصطفاء، أي أنّ اجتبى خالفت الثلاثي المجرّد(جبى)، وغاب عنه أنّ معنى الاصطفاء في اجتبى، إنّما جاء تطوُّراً دلاليّاً من معناها المعجميّ بعدما رشّحتها الدلالة الصرفيّة لهذا المعنى؛ لأن جبى الشيءَ: أخذه واحتازه، واجتباه: قَصَد أخذه وعمَد إليه، فصار كأنّه اختاره لنفسه، فجاء من هنا معنى الاصطفاء، ولولا الدلالة الصرفيّة الأساسيّة والجوهريّة في افتعل لما اكتسبت اجتبى معنى الاصطفاء[37].

أمّا اقتدى، فإن أصل معناه كما قال ابن فارس: اقتياسٌ بالشيء واهتداء[74]، وتتفرّع مادّته من هذا المعنى[57]، والقدوة: ما جعلته عَلَماً لتهتدي به وتقتدي، وعلى هذا يكون معنى اقتدى لا يختلف عن الثلاثيّ إلا بما جاءت به الصيغة من دلالة صرفيّة، وليس هناك مباينة لأصل المعنى.

المبحث الثالث: الدلالة الجوهريّة الوحيدة في صيغة افتعل

يبدو لي أنّ الدلالة الجوهريّة الوحيدة للصيغة الفعليّة افتعل لم تَعُد بعيدة، من حيث معناها، ولا من حيث توحيدها، وذلك في ضوء المعاني الّتي ناقشتها في المبحث السابق، فبعضها يقترب منها ويلامسها، وبعضها وإن بدا بعيداً عنها فإنه صادرٌ عنها أو راجعٌ إليها، والإشارات إلى هذه الدلالة كثيرة، بل إن المعنى الثاني عشر في المبحث السابق، وهو المعنى الّذي نصّ عليه ابن مالك أصاب هذه الدلالة الحقيقيّة مباشرةً، غير أنّه لم يسعَ أحد إلى جعل هذه الدلالة دلالة جوهريّة وحيدة، وكانوا يجنحون إلى تعديد المعاني لأسباب أشرت إليها في مواضعها. وسأقف في هذا المبحث عند الإشارات الّتي أصابت هذه الدلالة مباشرةً، وألمحتْ إلى وحدتها أو إلى كونها دلالة رئيسيّة.

حُكِيَ عن الفرّاء أنّه كان يقول: " اجتبيت الكلامَ واختلقته وارتجلته: إذا افتعلته من قِبَل نفسِك "[67]. ومن اللافت هنا أنّ الفرّاء جمع الأمثلة الثلاثة – وقد جاءت على صيغة افتعل – في معنى واحد أقرب ما يكون إلى الدلالة الجوهريّة للصيغة.

كما أنّ أمثلة افتعل الّتي جمعها ديوان الأدب في صعيد واحد، تكاد تجعل هذا المعنى يتجلّى ويستقرّ في النفس[77]، ولك أنّ تلاحظ القَصْد إلى الفعل من ذات الفاعل في الأمثلة الآتية، وهي قليل من كثير: انتقبت المرأةُ، اشتعلت النارُ، انتهبوا مالَه، امتدحَهُ، احتفرَ، اصطبرَ، افترش... إلخ.

ولقد توارد أبرز المستشرقين في دراساتهم المقارنة للّغات الساميّة على أنّ أغلب الصيغ الفعليّة المزيدة لكلّ منها دلالة صرفيّة رئيسيّة، ولم يذكروا غير هذه الدلالة في بعضها، فبروكلمان يقول: إنّ الساميّات تشترك كلّها في وزن السببيّة(أفعَلَ)، ثم ذكر صيغة افتعل وأنّه بناء الانعكاسيّة[78]؛ أي المطاوعة. وذكر موسكاتي ورفاقه ما تقدّم عند بروكلمان، من أنّ الساميّات تشترك في معنى السببيّة في أفعل، وذكروا أنّ معنى افتعل هو الانعكاسيّة، أو البناء للمفعول أحياناً، وقد تفيد المشاركة، وذكر أنّ معنى فاعَلَ بادئ ذي بدء المشاركة، وتدلّ أحياناً على حدث موجّه نحو عَرَض[79]، وعلى الرغم من أنّ برجشتراسر لم يُصرِّح بدلالات الصيغ المزيدة في الساميّات فإنّ استعراضه للِأفعال

وأبنيتها في الساميّات يشير بوضوح إلى أنّ دلالة المزيد الرئيسيّة فيها واحدة، أو متقاربة إلى حدٍّ بعيد[80]. وخلاصة هذه الإشارات أنّه ليس غريباً ولا مستبعداً أنّ يكون للصيغة الفعليّة المزيدة معنى صرفيّ رئيسيّ أو وحيد، ومن ثم تتفرّع منه استعمالات شتى، تعود بدلالتها الصرفيّة إليه.

وقد تقدّمَ أنّ مصطفى جواد ذهبَ إلى أنّ التاء في افتعل واستفعل وتفاعل إنّما غرضها الإعراب عن رغبة الفاعل في الفعل أو شبهها[81]، وهو رأي يتّفق مع المعنى الّذي أراه في افتعل. غير أنه لا يرى أنّ هذا هو معنى افتعل الوحيد.

وقد تتبّع جرجي زيدان أصل التاء المزيدة في افتعل وتفاعل وتفعّل مقارنةً بالساميّات فاستنتج أنّ أصلها بمعنى ذات، وقال: "فكأنّهم أول استعمالهم هذه الصيغة كانوا يقصدون بها انحصار الفعل في نفس الفاعل، فقالوا اتقتلَ، بمعنى حصول القتل في نفس الفاعل"[82]، ووجّه ذلك إلى المطاوعة، على أنّ المطاوعة كما يقول تقرُب جدّاً من المبني للمجهول. ويلاحظ أنّ جِماع ما ذكره يدور في فلك ذاتيّة الفعل، سواء أكان انحصار الفعل في نفس الفاعل، أو المطاوعة، أو المبني للمجهول. وما أقربَ الذاتيّة من الدلالة الجوهريّة لصيغة افتعل الّتي أشيمها في هذا البحث.

وقد أحسّ عودة الله القيسي بهذه الدلالة حينما درس الإعجاز القرآنيّ في تنوّع الصيغ الصرفيّة، وإن لم يتّجه إلى البحث في وحدة الدلالة، لكنّه ذكر اجتماع النفس للقيام بالعمل مع افتعل: "والفرق بين الاصطبار والمصابرة... أنّ الصيغة الأولى تحمل في وزنها الصرفيّ وفي صيغتها معاني التحمُّل واجتماع النفس للقيام بالعمل أكثر ممّا تحمله الثانية"[83].

وقد لامس المعنى الّذي أسعى للكشف عنه صلاحُ الدين الزعبلاويُّ، لكنّه علّقه بالمتعدّي من أمثلة افتعل، ولم يجعله المعنى الوحيد للصيغة وإنْ عدّه أظهرها، قال: "... فإذا كان متعدّياً كانت له صور متعدّدة أظهرها أنْ يُراد به القيام بالفعل عمداً وقَصْداً أو تخصيصاً ... نحو، اشتممت الورد. فإذا كان لازماً فأوضح صورة أنّ يدلّ على المطاوعة، كقولك: أبعدته فابتعد"[48].

ومما يؤيّد هذه الدلالة الجوهريّة للصيغة عندي أنّه لا يندّ عنها مثال مما صيغَ على افتعل، وإن كانت الأمثلة تتفاوت قرباً أو بعداً. على حين أنّ المعاني الأخرى لا ينتظم كلّاً منها إلا عدد من الأمثلة، أو طائفة بعينها يجمعها رابط معجميّ ما. وليس هناك من حدود مانعة لكثير من الأمثلة من أنّ تتداخل بين المعاني؛ أي يمكن توجيه المثال الواحد إلى غير معنى صرفيّ من المعاني الّتي ذكروها؛ فالفعل افترش – مثلاً – يمكن حمله على معنى الاتّخاذ، أو القوّة والمبالغة، أو فعل الفاعل بنفسه.

وقد ضاقت معاني افتعل الكثيرة الّتي عدّدوها عن الفعل (ارتجلَ)؛ فقد عدّ الرضي أنّ مثل(ارتجل الخطبة) ممّا لا يضبطه معنى من معاني افتعل، وهذا مستغرَب من هذا المُحَقّق الفذّ، فكيف يندُّ مثال عن الصيغة لا يُضبَط لو كانت دلالتها الصرفيّة مُحَرَّرةً حقَّ تحريرها؟

ولو حمَلْنا (ارتجل) على الدلالة الصرفيّة الّتي أسعى إليها هنا لوجدناها لا تندّ عنها ولا تخرج، فالفعل ارتجل جاء من رَكِبَ رجليْه في حاجته ومضى؛ أي لم يركب مطيّةً واعتمد على نفسه، وانتقلت هذه الدلالة بالمجاز إلى ارتجال الكلام؛ أي لم يركب به التكلّف والاستعداد، ولكنّه جاء به طوعاً وسمحت به نفسه، وارتجل الخطبة أيضاً: لم يركب بها الصعب من تكلّف واستعداد وكتابة.

وبغض النظر عن امتداداته الدلاليّة في الاستعمال، فإن الدلالة الصرفيّة فيه واحدة، وهي تقَصُّد المعنى(الارتجال) وتعمُّده من ذات فاعله[85].

المبحث الرابع: نماذج من صيغة افتعل

أختم البحث ببعض الأمثلة من صيغة افتعل لتجلية المعنى الصرفيّ الأساسيّ للصيغة، وتعزيز وحدة الدلالة فيها.

1 - اتّبع

ربّما كان هذا الفعل من أكثر الأفعال الّتي اختلف فيها القول من حيث دلالته الصرفيّة، والفرق بينه وبين المجرّد(تَبِعَ) والمزيد (أتْبَعَ). وقد رصدته في القرآن الكريم بصيغتيه:

المجرّدة والمزيدة، فوجدته قد ورد أكثر من 150 مرّةً، منها ثمان فقط بصيغة المجرّد(تَبِعَ)، وسائرها بصيغة المزيد(اتّبع)، وقد وجدت المجرّد جاء حيثما كانت دلالة السياق تتطلّب الفعل على إطلاقه، وبمعناه الطبيعيّ العامّ، وهو مجرّد التّبَع، كقوله تعالى﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ [البقرة: 38]، فتبع هنا مجرّد اللحاق والسير وراء راية الهدى. وجاءت ذات العبارة في سورة طه، لكنّ فيها(اتّبَع) في سياق فيه تفصيل أكثر من الأولى، وكانت المقارنة أشد بين عاقبة اتّباع الهدى واتّباع الضلال، إذ لحق الآية قوله تعالى﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ﴾ [طه: 124]، فناسب السياق اتّبع لما فيه من قَصْد وعمد من ذات الفاعل، يكتسب الفعل به قوّة واعتمالاً.

ومثله﴿مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ ﴾[البقرة: 145]وقوله﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ﴾ [البقرة: 263]، وقوله﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ [آل عمران: 72]، وغيرها من الآيات، فدلالة السياق الّتي وردت فيها الآيات لا تتطلّب سوى الفعل المجرّد دون أيّ زيادة في دلالته، وهو مطلق السير واللحاق. في حين أنّ الكثرة الّتي جاءت فيها(اتّبع) المزيدة كانت في سياق اتّباع الملّة أو العقيدة أو الرسول أو الحقّ من جهة، أو اتّباع الضلال والهوى وخطوات الشيطان من جهة أخرى، نحو قوله تعالى﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ [الأعراف: 3]، فمن البيّن أنه في مثل هذه الآيات وهذا السياق تكون الصيغة المناسبة للدلالة هي افتعل(اتّبع) لما فيها من قَصْد وعَمْد إلى الفعل من ذات الفاعل.

وحين وقف صاحب ملاك التأويل مفرّقاً بين (تَبِعَ، واتّبع) أي فَعَلَ المجرّد، وافتعل المزيد نجده قد لامس حقيقة المعنى، قال: " وتَبِع فَعِل وهو الأصل، واتّبع فرع عنه، وهو منبئ عن زيادة في معنى فَعَل. . . فمَن تبِع لإنبائه عن الاتّباع من غير تعمُّل ولا تكلّف ولا مشقّة، وأمّا اتّبع فإنّ هذه البنية، أعني بنية (افتعل) تنبئ عن تعمُّل وتحميل للنفس "[86]. والتعمُّل والعلاج أراه نتيجةً حين يريد الفاعل الفعل ويتعمّدهُ ويقصده من ذات نفسه.

وقد برهنَ على ما ذكره من خلال السياقات الّتي وردت فيها الصيغتان، قال: "قوله: تَبِعني: يريد الجري على مقتضى الفطرة ومَيْز الحق بديهاً بسابقة التوفيق من غير إطالة نظر أو كبير علاج لسبقيّة الهدى ووضوح الشواهد... اتّبع... المراد بها مَن تعامى عن النظر في الدلالات وترك واضح الاعتبار... وحملَ نفسَه بقَدَرٍ الله على ما لا يشهد له نظر، ولا يقوم عليه برهان، فكأنّ هؤلاء تعمّلوا في ذلك وعالجوا أنفسهم حتى انقادت طباعهم إلى غير ما تشهد به الفطرة"[87].

2 - ابتكر

تعدّدت أقوال أصحاب الحديث النبويّ الشريف في الفرق بين بكّر وابتكر في قول النبيّ- صلى الله عليه وسلّم- من حديث الجمعة (من غسّل يوم الجمعة واغتسل وبكّر وابتكر...)[88]، إذ لم يضعوا في اعتبارهم الدلالة الصرفيّة الحقيقيّة لكلّ من الصيغتين، فكثرت التأويلات والمعاني، ومَن استند منهم إلى الدلالة الصرفيّة التبست عليه كثرة معاني الصيغة وتداخلها ومرادفاتها. وبالاستئناس بالدلالة الصرفيّة المحرّرة هنا يكون المراد لغويّاً هو أنّ بكّر: ذهب إلى الجمعة مبكّراً؛ أي قبل دخول وقتها، أمّا ابتكر: فمعناه قَصَد الفعل وعمد إليه من ذات نفسه، وهو إصابة باكورة الجمعة، وباكورة كلّ شيء أوّله، أي حضر صلاة الجمعة من أول الشروع بأعمالها.

3 - اعترف

هي افتعل من عَرَفَ، وقد استقرّ بها الاستعمال في معنى أقرّ بذنبه، وهو تطوُّر دلاليّ وتخصيص للدلالة، يعود إلى دلالة اعترف صرفيّاً، وهي: قَصَد إلى فعل المعرفة وعَمَد إليه من ذات نفسه، كقول بشر بن حازم:

أسائلة عميرةُ عن أبيها خلال الجيش تعترف الركابا[89]

بمعنى أنها تنظر إليهم متفحّصةً، وتتطلّب معرفة أبيها خلالَهم، وهذا هو قَصْد الفاعل إلى الفعل من ذاته وعَمْده إليه، ثم إذا تجاهل الإنسان ذنبه أو نَسِيَهُ فإنّ ذلك يتطلّب أنْ يعمد ويقَصْد إلى فعل المعرفة بصيغة افتعل(اعترف) ليعرف ذنبه بنفسه ويُقِرّ به، فيُقال:

اعترف؛ أي عَرَفَ فعلَه بأن قَصَد وعمَد إلى المعرفة من ذات نفسه، ومن هنا استقلّت اعترف بمعنى الإقرار، وشاع هذا المعنى استعمالاً فيه.

4 - اعتدى

أصل معنى عدا، يعدو ركض أو حَضَر[90]، ثم جاء منه الهجوم على العدوّ، والبطش به، وجاء منه معنى الظلم والاعتداء، جاء في اللسان: "قال أبو بكر: فلان عدوّ فلان، معناه فلان يعدو على فلان بالمكروه ويظلمه"[91]، ويعدو الذئب على الغنم: يركض إليها ليصيب منها، ثم انتقل المعنى إلى التجاوز والظلم، كقوله تعالى﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: 173]، وعادٍ اسم فاعل من عدا، أي: تجاوز وظلم، ثم شاع الفعل بصيغة افتعل لأنّ فيها معنى: قَصَد إلى هذا الفعل من ذات نفسه، فناسب هذا فعل البطش والبغي، فسادَ بهذه الصيغة وشاع.

5 - اهتدى

الفعل هدى(فَعَلَ) فعل متعدٍّ؛ أي دلّ غيره على الطريق المستقيم، وعلى قَصْد السبيل، وحين صيغت منه افتعل بدلالتها الصرفيّة الثابتة والأساسيّة، صار المعنى: قَصَد وعَمَد إلى هذا الفعل من ذاته، ولذلك صار الفعل لازماً، وهناك علاقة بين اللزوم وذاتيّة الفعل المتأتية من الدلالة الجوهريّة.

الهوامش والمراجع

(1) انظر: سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان: **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام هارون، ج4، ط3، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1988، ص74.

(2) انظر: التوني، مصطفى زكي حسن: "**صيغة افتعل في القرآن الكريم، دراسة لغويّة**"، **مجلة كلية التربية**، القسم الأدبي، جامعة عين شمس، المجلد 3، العدد 3، 1997، ص 54.

(3) انظر: ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبدالله: **شرح التسهيل**، تحقيق: عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، ج3، ط1، القاهرة: دار هجَر، 1990، ص 455.

(4) انظر: السهيلي، عبدالرحمن بن عبدالله: **نتائج الفكر في النحو**، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1992، ص 272.

(5) انظر: صيغة افتعل في القرآن الكريم، ص 54.

(6) انظر: ابن فارس، أحمد بن فارس: **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج5، بيروت: دار الفكر، ص 444، (نعف)، الزَّبيدي، محمّد بن محمّد الملقّب بمرتضى: **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: عبدالستار أحمد فرّاج ومجموعة من المحقّقين، ج14، ، الكويت: مطبعة حكومة الكويت، 1965، ص 249، (نظر).

(7) كتاب سيبويه، ص65.

(8) انظر: ابن جنّي، أبو الفتح، عثمان بن جنّي: **المنصف، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني**، ط1، بيروت: دار إحياء التراث، 1954، ص75. شرح التسهيل 3/ 456. الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف: **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، ج1، بيروت: دار الفكر، 1420هـ، ص 58.

(9) انظر: جواد، مصطفى: **المباحث اللغوية في العراق**، جامعة الدول العربية: معهد الدراسات العربية العالية، 1955، ص 15– 17. السامرائي، إبراهيم: **من سعة العربية**، ط1، بيروت: دار الجيل، 1994، ص 81، 82.

(10) انظر: علي بن عثمان: **شرح البناء والأساس في علم الصرف**، وبالهامش: شرح العلّامة الكفويّ بن الحاج حميد على البناء والأساس، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1929، ص 28.

(11) انظر: بروكلمان، كارل: **فقه اللغات السامية**، ترجمة: رمضان عبدالتواب، السعوديّة: جامعة الرياض، ص 107، 108. موسكاتي، سباتينو، وآخرون: **مدخل إلى نحو اللغات الساميّة**، ترجمة: مهدي المخزومي، عبد الجبّار المطّلبي، ط1، بيروت: عالم الكتب، 1993. ص 217.

Lectures on the comparative grammar of the Semitic languages، London: : William ،Wright C. J. Clay and Sons، Cambridge University Press Warehouse، 1890، pp 207– 208.

(12) انظر: المباحث اللغوية في العراق، ص 17.

(13) انظر: المباحث اللغويّة في العراق، ص 19.

(14) انظر: المباحث اللغوية في العراق، ص49.

(15) زيدان، جرجي: **الألفاظ العربية والفلسفة اللغويّة**، بيروت: مطبعة القديس جاورجيوس، 1886، ص 38.

(16) انظر: العصيمي، خالد بن سعود: **القرارات النحوية والتصريفيّة لمجمع اللغة العربيّة**، جمعاً ودراسةً وتقويماً حتى عام 1995م، ط1، السعودية: دار التدمرية، بيروت: دار ابن حزم، 2003، ص 659.

(17) انظر: صيغة افتعل في القرآن الكريم، ص 38 – 54.

(18) الكتاب 4/ 69.

(19) انظر: ابن مالك، محمد بن عبدالله: **إيجاز التعريف في علم التصريف**، تحقيق: محمد المهدي عبدالحيّ عمّار سالم، ط1، المدينة المنوّرة: الجامعة الإسلامية، 2002، ص 173.

(20) ابن جنيّ، أبو الفتح عثمان بن جنيّ: **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، ج1، القاهرة: المكتبة العلمية، ص152.

(21) انظر: الجرادات، خلف عايد: " الترادف الدلاليّ بين صيغتي افْتَعل وتفاعَل" ، **المجلّة الأردنية في اللغة العربية وآدابها**، جامعة مؤتة، المجلّد 9، العدد 4، 2013، ص 115.

(22) الكتاب4/ 73، 74.

(23) الكتاب4/ 74.

(24) القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطّاب: **جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام**، تحقيق: علي محمد البجاوي، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر، ص 740. والطِّرْق: القوّة، والشكير: النبت، والمنجولا: المقطوع بالمنجل.

(25) الاستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن: **شرح شافية ابن الحاجب**، تحقيق: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محيي الدين عبد الحميد، ج1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1982، ص 109.

(26) انظر: المباحث اللغوية في العراق، ص49.

(27) الكتاب 4/ 74.

(28) انظر: شرح التسهيل، 3/ 455.

(29) الاستراباذي، شرح الشافية، 1/ 110.

(30) من قوله تعالى﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا﴾ [الفرقان: آية 5]

(31) البحر المحيط، 8/ 82، وانظر: دراسات لأسلوب القرآن، ق2، ج1، مج4، ص 535.

(32) ابن منظور، محمد بن مكرم: **لسان العرب** ، ج11، ط 3، بيروت: دار صادر، 1414هـ، ص 475. (عمل).

(33) انظر: فرحات، جرمانوس: **بحث المطالب في علم العربيّة**، ط2، بيروت: مكتبة لبنان، 1995، ص 23. (الحاشية).

(34) معجم مقاييس اللغة، 4/ 443، (فقر).

(35) انظر: لسان العرب، 5/ 61، (فقر).

(36) انظر: كتاب سيبويه 4/ 56، شرح شافية ابن الحاجب، 1/ 74.

(37) الأزهريّ، أبو منصور محمد بن أحمد: **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، ج 12، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2001، ص 312 (أبواب السين واللام).

(38) الزمخشريّ، أبو القاسم محمود بن عمر: **الفائق في غريب الحديث** ،تحقيق: محمد علي البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم ،ج2، ط2، بيروت: دار المعرفة، ص 192.

(39) انظر: الكتاب 4/ 74.

(40) انظر: الجرادات، خلف عايد "الدلالة الصرفيّة للصيغة الفعليّة المَزيدَة (تفعّل)، قراءة جديدة" ، **المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها**، جامعة مؤتة، مجلد12، عدد1، 2016، ص 259.

(41) الكتاب، 4/ 74.

(42) ابن جنّي، أبو الفتح عثمان بن جنّي: **المحتَسَب في تبيين وجوه شواذّ القراءات والإيضاح عنها**، تحقيق: علي النجدي ناصف، وعبدالحليم النجار، وعبدالفتاح شلبي، ج2، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1994، ص 195، 196.

(43) ابن مالك: شرح التسهيل 3/ 456.

(44) الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد: **كتاب العين**، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائيّ، ج2، دار ومكتبة الهلال، ص291 (عصد).

(45) ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد: **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، ج1، القاهرة: دار نهضة مصر، ص 304، وانظر: القلقشندي، أحمد بن علي: **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، ج2، بيروت: دار الكتب العلمية، ص 249.

(46) الكتاب 4/ 74.

(47) انظر: ابن عصفور، علي بن مؤمن: **الممتع الكبير في التصريف**، ط1، بيروت: مكتبة لبنان، 1996. ص 131.

(48) انظر: البحر المحيط، 1/ 58.

(49) انظر: الخصائص، 3/ 264.

(50) الخصائص، 3/ 264

(51) انظر: الخصائص، 3/ 265.

(52) انظر: الكتاب، 3/ 274، وقد استشهد به سيبويه في باب (فَعالِ).

(53) البطليوسي، عبدالله بن محمد: **الحلل في شرح أبيات الجُمَل**، تحقيق: عبدالله الناصير، ط1، دمشق: دار علاء الدين، 2000، ص 106.

(54) الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي** (الخواطر)، ج19، القاهرة: مطابع أخبار اليوم، 1997م. ص 12157.

(55) الحلل في شرح أبيات الجمل، ص56.

(56) نتائج الفكر للسهيلي، ص 272.

(57) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرٍ: **الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج3، ط 3، بيروت: دار الكتاب العربي، 1403 هـ ص 264

(58) الفراهيدي، كتاب العين27/ 2(طعم).

(59) انظر: الثعالبيّ، أبو منصور، عبدالملك بن محمد: **فقه اللغة وسرّ العربيّة**، تحقيق: ياسين الأيوبيّ، ط2، بيروت: المكتبة العصريّة، 2000، ص 411.

(60) شرح التسهيل 3/ 455.

(61) انظر: البحر المحيط، 1/ 546، 2/ 246.

(62) شرح التسهيل 3/ 456.

(63) انظر: الجرادات، خلف عايد: " توحيد المعنى الصرفيّ للصيغة الفعليّة المزيدة(استفعل) " ، **مجلّة دراسات**، الجامعة الأردنيّة، عمادة البحث العلميّ، مجلّد 43، عدد2، 2016. ص 895.

(64) سيبويه، الكتاب 4/ 70.

(65) انظر: السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله: **شرح كتاب سيبويه**، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، علي سيِّد علي، ط1، ج4، بيروت: دار الكتب العلميّة، 2008، ص 450.

(66) الزمخشري، الكشاف 2/ 467.

(67) انظر: البحر المحيط، 1/ 337. وهي قراءة قتادة في قوله تعالى ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ﴾.

(68) شرح البناء والأساس في علم الصرف، ص 28.

(69) صيغة افتعل في القرآن الكريم، ص 54.

(70) صيغة افتعل في القرآن الكريم، ص67.

(71) انظر: تاج العروس، 12/ 384 (ضرر).

(72) صيغة افتعل في القرآن الكريم، ص 70.

(73) انظر: تاج العروس، 37/ 316، (جبي).

(74) انظر: مقاييس اللغة 5/ 66، (قدو). الذي في المعجم اقتباسٌ، ومن الواضح أنّه تحريف عن اقتياسٌ، فهو المعنى المراد.

(75) انظر: لسان العرب، ج15، ص 173(قدا).

(76) انظر: الطبريّ، محمد بن جرير: **جامع البيان في تأويل القرآن**(تفسير الطبريّ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج13، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 2000، ص 341. وانظر: الفرّاء، أبو زكريا يحيى بن زياد: **معاني القرآن**، ج1، ط 3، بيروت: عالم الكتب، 1983، ص 402. وعبارة الفراء عند الطبريّ أوفى.

(77) انظر: الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم: **معجم ديوان الأدب**، تحقيق: أحمد مختار عمر، مراجعة: إبراهيم أنيس، ج2، القاهرة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، 2003، ص 397، وما بعدها.

(78) انظر: فقه اللغات السامية 107، 108.

(79) مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارَن، ص 214 – 217.

(80) انظر: برجشتراسر، ج: **التطور النحوي للغة العربيّة**، إخراج وتصحيح: رمضان عبد التوّاب، ط2، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1994، ص 90 – 94.

(81) انظر: المباحث اللغويّة في العراق، ص 19.

(82) زيدان، جرجي: **الألفاظ العربية والفلسفة اللغويّة**، بيروت: مطبعة القديس جاورجيوس، 1886، ص 38.

(83) القيسيّ، عودة الله منيع: **سر الإعجاز في تنوّع الصيغ المشتقّة من أصل لغوي واحد في القرآن الكريم**، ط1، عمّان: دار البشير، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1996، ص 86.

(84) الزعبلاوي، صلاح الدين، **دراسات في النحو**، المكتبة الشاملة (http://shamela.ws/)، ص 666.

(85) انظر: تهذيب اللغة، 1/ 24، (أبواب الجيم والراء). ابن سيده، علي بن إسماعيل: **المخصص**، تحقيق: خليل إبراهيم جفّال، ج1، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1996، ص 294.

(86) الغرناطي، أبو جعفر، أحمد بن إبراهيم: **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل**، ج1، بيروت: دار الكتب العلمية، ص 46.

(87) ملاك التأويل، 1/ 47.

(88) انظر: ابن ماجة، أبو عبدالله محمد بن يزيك القزويني: **سنن ابن ماجة**، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ج1، مصر: دار إحياء الكتب العربية، ص 346، حديث رقم (1087). وانظر: الخطابي، حمد بن محمد: **معالم السنن**، وهو شرح سنن أبي داود، ج1، ط1، حلب: المطبعة العلمية، 1932، ص 108. وانظر: السندي، محمد بن عبدالهادي: **حاشية السندي على ابن ماجة** (كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه)، ج1، بيروت: دار الجيل، ص 338.

(89) الأسديّ، بشر بن أبي خازم: **ديوان بشر بن أبي خازم**، تحقيق: عزة حسن، دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد، 1960. ص 24.

(90) الحضر: ضربٌ من العَدْو.

(91) انظر: لسان العرب، 15/ 33 (عدو).

مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية

فصلية علمية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت
تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية

رئيس التحرير الأستاذ الدكتور : عبدالرزاق خليفة الشايجي

صدر العدد الأول في رجب ١٤٠٤هـ - أبريل ١٩٨٤م

* تهدف إلى معالجة المشكلات المعاصرة والقضايا المستجدة من وجهة نظر الشريعة الإسلامية.
* تشمل موضوعاتها معظم علوم الشريعة الإسلامية: من تفسير، وحديث، وفقه، واقتصاد وتربية إسلامية، إلى غير ذلك من تقارير عن المؤتمرات، ومراجعة كتب شرعية معاصرة، وفتاوي شرعية، وتعليقات على قضايا علمية.
* تنوع الباحثون فيها، فكانوا من أعضاء هيئة التدريس في مختلف الجامعات والكليات الإسلامية على رقعة العالمين: العربي والإسلامي.
* تخضع البحوث المقدمة للمجلة إلى عملية فحص وتحكيم حسب الضوابط التي التزمت بها المجلة، ويقوم بها كبار العلماء والمختصين في الشريعة الإسلامية، بهدف الارتقاء بالبحث العلمي الإسلامي الذي يخدم الأمة، ويعمل على رفعة شأنها، نسأل المولى عز وجل مزيداً من التقدم والازدهار.

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير

ص.ب ١٧٤٢٣ الخالدية 72455 الكويت هاتف: ٢٤٨١٢٥٠٤ - ٢٤٩٨٤٧٢٣ ٢٤٩٨٨٠٩٥ فاكس: ٢٤٨١٠٤٣٤

العنوان الإلكتروني: jsis@ku.edu.kw - E-mail -الاشتراكات - هاتف: ٢٤٩٨٦٠٦١ - issn: 1029 - 8908

عنوان المجلة على شبكة الإنترنت: http://pubcouncil.kuniv.edu.kw/JSIS alsharia_ku

اعتماد المجلة في قاعدة بيانات اليونسكو Social and Human Sciences Documentation Center

في شبكة الإنترنت تحت الموقع www.unesco.org/general/eng/infoserv/db/dare.html

تتوفر نصوص البحوث كاملة لدى: دار المنظومة www.mandumah.com

تفهرس المجلة وملخصاتها ونصوصها في قواعد البيانات والمعلومات التالية: EBSCO Publishing Products